علي الجمّال

الأرض العَمَـار

مجموعة شعرية

إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة 2025 م

الفهـرس

لكم 4

نبشٌ 6

إلى العابر داخلي 9

قصة من صفحات الوقت 13

سيرة لولد ما 16

مثقلٌ بالعابرين 18

مذكرات محارب مسالم 21

السبيل الفقير 25

مسامرة 28

سَحْجَة 31

نوستالجيا 35

إدقاق 37

للجد "سلامٌ عليك" 41

يوم ولدتَ 42

يوم تعيش 45

يوم تظل حياً 48

إهداء

للجد، للجدة، للأرض العتيقة،

ولكل من غرسوا أقدامهم فيها..

للوجوه الغائبة الحاضرة،

إلى قريتي.

لكـــم

المجد كل المجدِ
ليس لكاهن
جعل الكتابَ الحرفَ حرفةَ بائعٍ،
أو راهبٍ
لم تبصق الدنيا على جلبابهِ وجع الحياةْ،
أو شاعر
سرق الحروف لأجل فاتنةِ فنت،
أو قائدٍ
لم يخشَ إلا أول الصّف اللعينْ،
أو عابرٍ فوق العروش
يموت في كنف الذريعةِ والهوى،
ذا المجد لا،
لن يُنتقى
إلا بسيطاً قد حمى البسطاء.
رمى الغناء بأعين المحزون.
فاحموا مجدكم يا أيها البسطاء.
زيدوا في خيوط المجد غزلاً،
فهْو صاحبكم.
يجير القلب من فتن الظلام،
يردّد الموَّال في أذن السماء
فيمطر الصبر الكثيف بقلب فلاحٍ

لينسى ريقه المرّ الثقيل.

المجد ضحكةُ طفلةٍ لا سيف جنديٍّ يريد غنيمةً

المجد أنتم لا سواكم

ماؤه قلبٌ وحبٌّ ينسج العمر الجميل...

نبـشٌ

مَاتَتْ وَمَاتَ
وَمَا تَزَالُ الأَرض فِينَا نَاظرةْ.
الكَهرَبَاءُ هِيَ الجَرِيمَةُ،
كَشَّفَ المِصبَاحُ أَوجَاعَ الحَوَاسِ
وَبَعدَهَا انْطَفَأتْ عُيُونُ الفُرنِ،
ثَمّةَ جَمرَةٌ
قَد أَلهَبَتْ شَجَنَ الدُّخَانِ
فَنَامِتِ الخَبَّازَةُ الحَيرَى
عَلَى تَودِيعِ آخِرَ دَمعَةٍ
قَد نَزّهَا الْقَلبُ الْحَزِين.
المُترَفُونَ يُغَربِلُونَ بِنَا الزَّمَانَ
فَلاَ يَفِرّ
شَعِيرُ هَذِي الأَرض مِن شَطَحَاتِهِم
قَد بَدّلَوا
الْقَمحَ الْبَسِيطَ بِثَمرِةِ الأَموَالِ.
وَالحُوذِيُّ خَانَ حِمَارَهُ الْمِسكِين
بَعدَ غِوَايَةِ البِنزِينِ وَالْعَجَلاَتِ.
ثمّ تَنَاسَتِ
الْفَتَيَاتُ أَلحَانَ الأَصِيلِ
وَخَوفِهِم عِفرِيت تِرعَتِهِم
وَأَحجَارَ الْغَسِيلِ.

فَصَاحَ جَدِّي

-الْكَهرَبَاءُ هِيَ الجَرِيمَةُ -

لَمْ يَكُنْ يَدرِي تَعَاوِيذَ الْحَدَاثَةِ

كَانَ شَيخَاً عَارِفَاً بِالْطَمْيَ

يَحكِي لِلحَصَى وَجَعَ النَّبَاتِ

وَحِنكَةَ الْفَلّاحِ فِي جَمعِ الثِمَارِ.

هُنَاكَ بِضعُ مَعَارِك* مَخفِيّةٍ

قَد أَشهَرَ الإِنسَانُ

أَنصَالَ الْمَمَاتِ بِهَا

فَصنبُورٌ يُمِيتُ مضخّةً يدويّةً

وَرِسَالَةُ الْمَحمُولِ

تَشنِقُ عِطرَ أَورَاقِ الْحَبِيبَةِ فِي الْهَواءِ

وَجَدّتِي لَم تَفتِلِ الْلِيفَ الحَزِينَ

فِعِندَمَا نَظَرَتْ إِلَى حَبلِ الْمَصَانِعِ

قَد تَفَهّمَتِ الجَرِيمَةَ مِن خَفِيّ الوَقتِ

وَالأيَّامُ صَاخِبَةٌ

فَلَمْ يَهبِطْ مَلَاكُ الْدِفءِ مُنذُ سِنِينَ

والمَوّالُ جفَّ

بِقَطعِ أَوتَار الرَّبَابَةِ

فالزناتي والهلاليّونَ

قد رُحِمُوا عَلَى حِبرَ الورقْ.

فَرَحٌ كَئِيبٌ

فَالْجَرِيدُ مُحَمَّلٌ بِالْحُزنِ

لَم تَرَ عَينُه الخَضرَاءُ عُرساً
قَد أَنسَاه هَذَا البُؤسُ
مَا فِي كُوشَةٍ مِن بَهجَةِ التَّصفِيقِ
والطَّبلاتُ يُلهِبنَ الزّغارِيدَ الطّوِيلَة
بِينَ أَفوَاهِ النّسَاءِ..
سَمَرُ الْمَسَاءِ تَطَايَرَ الْإِدهَاشُ مِنهُ
مِثلَ هَشِّ الْبُوصِ فَوقَ النّارِ.
فَالتّلفَازُ وَالْمِذيَاعُ وَالْأسلاَكُ قَد كَانُوا الرَّصَاصَ
وَنَحنُ قَد كُنّا الزَّنَادَ وَضَاغِطَهْ.
الدِّفءُ مَاتَ هُنَا
وَنَحنُ الْقَاتِلُ الْمَقتُولُ.
قَد مَاتَت وَمَاتَ
وَنحنُ تَحتَ الْوَقتِ
حَرفٌ خَطَّهُ الْمَجهُول.

لَكَ يَا هُنَا
بَعضَ الْبَقَايَا
فاحتَفِظْ بِالْظِلِّ
بِينَ غَضَاضَةِ الأشوَاكِ،
إن أَلقَت أوَانِي الطّهيَ بَهجَتَهَا
تَذَكّرْ دَمعَةَ الْفُخّارِ،
بَلْ
وَتَذَكّرْ الْكَانُونَ والأحطَابَ..

هَل فَسُدَتْ عَصِيدَةُ أُمِّكَ التّكلَى؟

أَظنّ الوَقتَ دَاهَمَهَا

ومسّ الغازُ فَرْحَتَهَا

فخذْ بَعضاً

مِن ذِكرَيَاتٍ أَنتَ صَاحِبُهَا

ومتْ أَو عِشْ..

فَأنتَ كَمَا شَدَا الْحَادِي

لا تَنتَهي

تَتَغِيرُ الأظفَارُ فِيكَ

وَيعلوكَ الطّلاءُ

بِكلِّ أَشكَالِ الحَضارةِ

إلى العابر داخلي

فِي خِطَابِ الصباحِ
وكل صباحٍ
أكون كلافتة الدربِ
أحفظ بعض التفاصيل
ثم أجهّز بعضاً لقبر السرابِ.
أنا منجل الوقت
لكن بلا أي قطفٍ
فأُخطف من فوق لفظي
كجميزةٍ صاغها الجوع للمتفكرِ
ثم تطوّح
صفارة الخفراء المجاز لكلب الرعاةِ.
بهذا الصباح
أكون نعاساً
يقاتل عين المزارع
وهْو يفكر في فلسفات الحقولِ،
تحاصر "طعمية" الفجر جوع الليالي،
وأُصبحُ قلب العجوز
التي فرحت بوفير الحليب
وطاعة جاموسةٍ عاصية.
كنت مثل الشجيرة
لكنّ ثمري الدليل

أدلّ العيون إلى ضوئها
والأصيل إلى الليل
فالشمس قبعتي
وجذوري
من الانكسار الثقيل الذي
يحمل الذكريات لجند الغزاة
وتحت ردائي الذي
خِيطَ دوماً من الاشتباكِ
حروفٌ بلا أثرٍ..
قد أكون الملاذ
وعين المطارد
حين يزاحم كل الملامح شكًّا،
أكون كما
يبتغي الفيلسوف
غزالاً شريداً من الفكر،
أو تابعاً أرهقته الخيالات
في عبث النذرِ،
أكون البلابل عند الغروب
على سطح بيت فقيرٍ
تطاردني الظلمات فأرجع للعشِ
تؤنسني قشةٌ
أو نعيبٌ طويلٌ
من البومة العابرةْ.

وأكون عيونك يا قصتي

مولدٌ في الصقيع

على حِجرِ سيدةٍ،

حينما أُرضعْت

تغاريد كل الحكايا من الجد،

بيت صغير

قد استهلكته السنون وترميمها،

لمبة الجاز،

رائحة الاحتراق،

وأول خوفٍ من الكهرباء

وأول شوق الحياة

-وليت شوقي كأوله-.

قد أكون وكنت

أعودُ وعدتُ

وهذا التذكر

لا يهدأ شقاً بمعولِهِ..

قصة من صفحات الوقت

لِلفَجرِ
مَا لَم يستبنْهُ النُورُ؛
فَأسُ مُزَارِعٍ بَالشَوقِ
يَحتَضَنُ الكَتِفْ..
حُزَمٌ
مِنَ الجَرجِيرِ تَركَبُ قُفَّةً
مِن فَوقِ رَأسِ فَقِيرةٍ
لِلسُوقِ ذَاهِبَةٌ،
رَضِيعٌ
أَفلَتَ الأَحلاَمَ مِن صَدرِ الأُمُومَةِ
كَي يُضَمدَ جُوعَهُ.
وَالصُّبحُ
يَهزمُ عُنوةً بَردَ اللَيَالِي،
طَالبٌ فكّ الكَوَالِيسَ الأَخِيرَةَ
مِن ظَلاَمِ اللَيلِ
بَينَ رَسَائِلِ الأَشوَاقِ..
لِلفَجرِ الجَديد رَوَائِح الخُبز الشَهِيِّ،
مَتَاهَةُ القَمرِ العَلِيِّ
وَبَهجَةُ الفَتَيَاتِ
إذ يُعدِدنَ إِفطَارَ النَّهَارِ مِنِ الأَغَانِي
قَد أَقُول: أَنَا ضَئِيلٌ

كَي أُضَمّد جُرحَ هَذِي الشَمس
لَكِن لِي قَصَائِد صَحوَتِي،
أَصطَادُ لَيلاً آخَرًا
مِن صَفحَةِ الوَقتِ البَخِيلِ،
أَشدّ شَعرَ القُبحِ، أَقذفه بَعِيدًا،
أَلفُظُ الشَوقَ الغَبِيّ
وَأَكتُبُ النَّجمَاتِ.

بَينَ عُيونِ هَذا الفَجرِ
أَسرارُ الندى،
شَوقُ الحقولِ،
ورقّةُ النخيل،
وَسَيرُ شيخٍ بَينَ أَروقةِ الدعاءِ
وَسُنبلَاتُ الشَّوقِ بَينَ الذّكرَيَاتِ.
أَقولُ: هَذا الفجرُ يُشبهُ وَردَتِي،
مَا كَانَ طَمّاعاً
يُخَبِّئُ مَا تُسِرُّ حَبِيبَتِي عَنِّي
مِن الحُبِّ الصَديقِ
وَبَهجَةِ الرُؤيَا
وَدَفق الأمنياتِ على لَسَانِ القَلبِ.
دَومَاً كَانَ يَهوَى السِلمَ
يَمضِي الوَقتَ
فِي رَشِّ النَدَى

فَوقَ السِيُوفِ
لَكِي يَعِيش بِهَا الصَّدَأْ.
للفجرِ
مَا لَم يُدِرك الوقتُ الكفيفُ
ملامحُ الأَملِ الجديدِ
ولهفةُ الميلادِ
والديكُ المهلّلُ بالضِيَاءِ..
أَقُولُ يا قَلبِي
صَدِيقي الفَجرُ
فِي هَذا الصباح
معذّبٌ جدّاً هُنا؛
قَد فَاتَه الإبحَارُ
بَينَ دَفَاتِرِي
وَلِذَلِكَ الفِعل القَبِيح
لَهُ القَصِيدَةُ كُلُّهَا

سيرة لولد ما

من مبدأ الأيام بالأحزانِ
جئتُ الحياة أغوص في إنساني
طفلاً يطارد جانّ ترعته
وشابٌ بالتأمّل غاص في الألوانِ
لم يأتِ للدنيا ليكسر سيفها
بل أنجب الآمال في تحنانِ
يقسو
على الخطو الضعيف تسرعاً
يعطي المسير خطاه بين أمانِ
لم يكره الوقت البخيل،
فلو يمر، يصيح
" يا أيامُ آن أواني"
ولد يحاكي الطير
في أصواتها
في الصبح
يعزف بسمة الجد العجوز
يعيش بين الحرب منتصراً
ومهزوماً على طرب المواويل القديمة،
ينتشي قبل النهاية
ينتهي عند النهاية
إنني الآن يا أصحابُ

ضوء يرتقي حبل الحكايات الحيارى
بل هوىً قد تنمّلت أطرافه
لما رأى البنت الجميلة
إنني يا أصدقائي
آدم السباق عند الاندهاش
أرى؛ أحب..
أحب؛ أشتاق المجيء

أنا فارس الأحلام
أكتب ما رأت عينُ الهوى
في جبهة الأزمان

آتٍ إليكم بالحياة
خذوا كياني
كي تعيشوا
في نشوة الألحان

مثقلٌ بالعابرين

على المقهى
شجونٌ لم تكن لي،
لم تكن
إلا رسوماً من زمانٍ شاخ،
حيث تجرّ قافلتي ذيول الحكيَ،
قالت لي الحوائط:
ها هنا كانت ربابة عابرٍ،
كانت حكايا المتعبين عن الهناء،
قوافل الغجر الجياع،
وقصة العشاق
بين دخان تبغ مثقلٍ بالحزنِ،
حين
يعي المساء غياب خيط الشمس
ثمة فرحةٌ في عمرهِ فيقول:
حان الوقت
كي يُثني عليّ العاشقون
وكي يجيء إلى نجومي المتعبون..
هو المكان رفيقُ كل الذكريات،
تحمل العبث اللئيم
على مجاز قصيدتي،
وتجاهل اللعنات..

شاهد مولد الشعراء
أيضاً
شاهد الشطحات في ترتيلهم.
وهوى..
وعلى المقهى سعال الضاحكين
على حكاية خاسرٍ
لم يرضه النرد الخؤون
ولم تخنه الابتسامات الخفيفة،
إنني يا صاحبي شجن الربابة
وهْي آهات الكمان،
عناكب الأيام
تنسج أصلب الأحزان داخلي،
والعمرُ مندهشٌ
– لقد كانت تلملم حزنها
فوق الرموش وكحلها،
تمحو الحروب ببسمةٍ،
وتطوّح الأحبال والانكسار
في بركان وحدتها،
وهذي الوحدة العمياء
تُهزم حينها في رقصةٍ
أثناء خلوتها-
وأنت أنا غريبان الطريق.
هنا على المقهى

يد البسطاء
تكتب فلْسفات الريح
بين مشاهد الحمد الكثيف،
تُقاربُ الأنداد
فوق ملامح "الدومينو" المحتار،
أيدٍ تستبيح تعانق الغيث الكثيف
على الجباه بكل صبحٍ
ثم أثناء الأصيلِ.
فيا فؤاد
أعدْ إلى ذاتي الذي أخذ المكان
– تنهد الفتيات في عمري،
وخشخشة البنادق
وهْي تذوي
نحو صدري في رحيلٍ،
صاحباً
قد شده التسويف من شِعري،
ونحت حبيبتي الهش
الذي أخذ الزمانُ.

مذكرات محارب مسالم

(الفزاعة)

أَيُّهَا الجَمعُ إنّي وَحيدٌ
فَلا صَاحبٌ لِي
سوَى الطِين،
حينَ يُقَاسِمنِي
بَعضَ بَهجتِهِ عِندَمَا
يَحضن الفَيَضَانُ مِن النّهرِ
أَضلاَعَهُ.
كُنتُ قَبلَ سِنِين
رَئيسَ النَّوَاطِيرِ وَالخُفَراءِ،
أُدَاعِبُ شَعرَ السّنَابِل،
أَرقُبُ زَهرَ الرَبيعِ،
وأحكِي لِقَشٍّ على الرأسِ
عِن مَا تُسِرُّ مَفَاتِنُ بِنتٍ
قُبيلَ المَسَاءِ بُعيدَ تَراخِي الرِدَاءِ.
لقَد كُنتُ فِي زَمَنٍ غَابرٍ
شَاعِرَ الشُعَراءِ،
خَطَيبَ البَلاَغَةِ،
كُلّ الجَمَاهِير
مِن لَحظَةِ النَبتِ حَتّى الحَصَادِ
أَنَا حِبرُ كَاتِبِهَا،

صَوتُ زَارِعِهَا
والمحاربُ
لما تنادي الثمارُ
لكي أدفع الطيرَ عنها
– جماهيرُ خَضراءُ
مِثل عيون الملائكةِ المُنتشينَ
بِتَسبِيحِكُم يا صحاب.
فَكُنتُ
أَهدهدُ نفسي بِحضن الثمارِ
أنوحُ إذا جاءهم منجلُ القطفِ.
حين الحرورِ
أكون ملاذ عشائر نملٍ
تفرُّ مِن الصيف،
حِين الشتاء
يهاجمُ جيشُ الصقيعِ صحابي
فَلا أستطيع الدفاع.
فأضحك من كل شيءٍ وأحزن.
أفرح مثل الصغارِ
لأجل رداءٍ قديمٍ يخبّئ في نسجهِ
قصةَ الصبرِ والرحلةَ المستباحةَ.
لما يدغْدغُ رِجْلَيَ دود التراب
أغنّي
أيا أرضُ ذا الطين ذو طيبةٍ

– أيها الجمع أين تكونونَ؟

كنت قديما وكنتم،

سهرت كثيراً ونمتم،

وأفزعت كل بعيدٍ رأى.

عندما كَشفَ السترُ

ثوب النقابِ عن الوجهِ

قد أدركتْ قصتي نبضاتِ الفراغ،

فإذ شعلةُ النارِ

تحتضن الماءَ دون دخانٍ

ولم يُوجع الهيدروجينَ

مذبحةُ الأكسدةْ.

ذلك الأكسجينُ حليفُ الرمادِ

ولكن لماذا تجاهل قلبي

ولا لم يدمدمْ ويحْرق

إذا عانق الحزنَ فيه؟

قديماً

أخفت العصافيرَ

والآن إني حزينٌ عليهم

ستشبعُ

أرواحهم مرةً لو يجيئوا

ومن ثمّ

تحضنهم بسمات التراب الحنونِ،

أيا أصدقائي

وداعي لكم

ثم لعْنِي

على البشر المستبيحين روحي

وروح العصافيرِ.

إني أرى بشريّاً

على ظهره صدأ ينفث الموت.

أيضاً

أرى الفأس بين يدٍ

سوف تحتل أرضي

ليحيا مكاني نبات جديد.

السبيل الفقير

(كوب لا يرد العطاشى العابرين)

ألفٌ من الأيدي تودّ عناقهُ،
فهْو الصديق.
لكنّ
لم يدركْ غريبٌ صحبته.

يُمسي ويُضحي وحده
وكأنه فزاعة ثكلى من الزراعِ
أو كيمامةٍ في الريح
أو طنبورة الريّ القديمة...

أيها القِدر العتيق
"لقد مرضت،
متى أيا مائي
يلين لفيض حبي العابرون؟
فقد مُلئت بحزنهم
وبنار لهفتهم الظميئة لي
متى يا ريقُ
يلمح عطف حضني الشاربون؟
حكت تخاريف الصبايا لوعتي
قد تنتشي الأيدي

وأُسرف في تعاويذي
لكي تُروى الحبيبة
كي يفيض الله
بالشكر الكريم على التحمّد
لي حكايا في القدورِ
مع العيون
وحمرة الفخار
والقصص الرديئة
لا تفي بكرامة الأنهارِ

لي ولدٌ
يلف الكون ما بين ابتساماتٍ
ولي أيضاً ملاهي العابثين
ندى جباه العاملين
يدٌ تطيل الحضن لي..
أنا لا أطيب لمترفٍ
عرشي صفيحٌ
ربما قطع بلتْ
من خردواتْ..
فأخاطب الألوان
والظل المهشم للحوائط
أمنح الحب المؤبدَ
للعطاشى الطالبين

ولا أكلُّ من امتلاءٍ

فالفراغ بيَ انتحارُ

فيا شفاه أنا لكم

مثل الضياء لجوهرٍ

جذب الحياة لذا النهارِ

مسـامــرة

ولي قصةٌ
قالها الجدُّ ثم غفا
والمجامر
تصغي لحلم الصغير بصمتٍ
دخان يلاطف ليلاً
بكل مساءٍ يداعب نجماً
يروض عمراً
بكوبٍ من الشاي
من ثمّ
يحسب مكسب ليلته من مواويل..
خرير السواقي كمانٌ بلا وترٍ لا يغيبُ
وخوف العفاريت
أثقل ظلٍ يقاوم نور طفولتنا
للأحاجي روائح أخرى
غموض شفيفٌ
يقول:
إذا جاءك الليل اعتصر القلب
وانتشي بالتفاهاتِ
ذكرياتك أكثر هولا بنيّ
فصاحب تناسيك
واضحكْ

فكنا قديماً

فؤوساً تجوس الأراضين حفرا

نحتنا خطوطَ القدمين

بقلب المصارف

والترع المستميتة الغازية الأرض

ينام العراء علينا

ونضحك

كنّا

نقاسم كل البراغيث قوت وحدتنا

يسكن القيظ فينا

ومن ثم نضحك

"كِشْكُ" الموالد مائدة المترفين منا

قِصاع الدراويش

سمر ليالي الرفاهية المنتشية بين الضلوع

إذا طارد الكسل أعيننا في الصباح

نقوم ونضحك

نقسو على الريح والروح في مشينا

مُجبرين الخطى نحو أرزاقنا

قد نغيب بدورا من الوقت

نرجع البيت

تسكرنا بسمة النسوة الحالمين

فنضحكُ

تلك الليالي تحارب تنهيدة الألم

تزداد ظلمتها في التذكر

إن الفكاهة إكسيرها

تبعث النور نحو النجوم وأقمارها

يا بنيّ:

غبار القديم ثقيل ككون

وأنت خفيفٌ

كنسمة صيفٍ..

تلاشَ مع الصفو

إن شئت

باغت اليأس في حدةٍ

عش واضحكْ

نظرت إليه

تلحفت نفسي

وطرت إليّ

وذيل اللهيب

يداعب جسم السكوت

توسدت فخذه الغض

ثم نمتْ.

سَـحْـجَـة *

للدهشة العلياء بدءٌ آخرٌ
في غرفتين
من القديم قد ابتهجنا
وانسللنا داخل الحزن الدفين
فإذ يسلم آخر الأشخاص
من بين المصلين الصلاة
تهرول الاقدام سعياً،
تتبع الأنحاء خطوتنا
يجيء الند والأحباب
كي نتقاسم التصفيق
جسماً واحداً
في غرفتيّ الطين
فتيان،
بنات، نسوة
يعطون للكون انتشاءً خالداً

في سبعةٍ بين الزمان
صفان
من جندٍ يقيمون الحروب غناءً
طبلٌ يجوب الأرض

* السحجة: فلكلور اندثر في صعيد مصر، وهو من مظاهر الاحتفال بالافراح والزفاف.

والفتيان يلهبون الظلام ضياءً

" يا ما خلق يا ما صور
كعب البت ريال مدور " *

تتأرجح الأبدان للخلف/ الأمام
يهيج قلب الوقت سلماً وانتصاراً
حرب من الأشعار
لا تحوي فراراً

اليوم الأول:
هي فرحة التكوين والبدء الجديد
كأن ريف الأرض
غطى طميناً بالأغنيات

اليوم الثاني:
هي صيحة المذياع والكاسيت
فالأصوات
تغمر قريةً مزروعةً بين الرضا

اليوم الثالث:
صخبٌ وجمرٌ باردٌ بين اليدين،
فتية يحكون عمرهم الطويل

بحمل ما يقدرون من قطع الأثاث

وبهجة التصفيق

اليوم الرابع:

أتعجّ روح الأرض بالبنت الجميلة؟

غرفةٌ،

ماءٌ،

وعطرٌ،

والبنات يثرن

هذا الكون في ضحكاتهن،

" عروس قلبك يا فتى حور من الجنات "

اليوم الخامس:

فرنٌ من الطين القديم،

ونسوةٌ

خبزٌ من الوهج الدفيء وصبيةٌ

فالخبز يذهب للبيوت

بلفظه ' العقبى لكم "

بين الزغاريد الطويلة

ترقص الأبدان

والأذهان رابضةٌ كمفترسٍ

تهيّبَ لاقتناص

فريسة الضحك الوفير

اليوم السادس:

حنّاء عمرك يا فتى وهج الحياة

فصح كثيراً وارقص

حناء عمرك يا فتاة صلاة كون باسم

صيحي جمالاً

وارتدي خجلاً يليق بفرحتكْ

اليوم السابع:

من فوق مائدة تخلت عن مريديها

نبتنا مثل براعم جنب الحياة

فلا يقيسنا زارعٌ، كي ما يجيء حصادنا

أو يمنّ بحفنة من أسمدة

الله حبٌّ يا صغيرة

تؤوي الطيورَ سماؤه

تحمي البلادَ عيونُه

نمشي بظل ضياءه

فلتسقنني حباً كثيراً

الله حبّ يا صغيرة

نـوستـالجيـا

طفولتنا
وما تعنى طفولتنا؟؟
هي الأشعارُ
فوق حقائق الأشياءِ،
ركضُ صديقي المشتاقُ للّعبِ،
مسير الأرض تحت قدمٍ
تضاهي الشمسَ،
تمشى نحو ضحكتنا
إلى أن يقتفى آثارها أقصوصة التعبِ
وما تعنى طفولتنا؟؟
طفولتنا شوارعُ من ظلالٍ،
من خطوطٍ في الطريقِ تزيل ذاكرتي
إذا شابَ الغيابُ هدوءَ صحبتنا..
كرات من زجاجٍ
مثل تكوين الفراغِ
وكانت البسمات
أكبر من فراغٍ لا يعي الأشياء.
عيون زميلتي الخضراء.
طباشير المزاح يجوب رسمَ سمائنا
يَسْوَدُّ أبيضُ قلبنا ببياضهِ الفاني
وينحر غربةَ الأنحاء.
عصا صنّارة الصيد التي كانتْ

تصاحب طين ترعتنا..
حروفٌ لم يرَ الإيقاعُ صهوتها..
كتابٌ في شقوقِ جدار مدرستي
ولم أنسه..
وما تعنى طفولتنا؟؟
طفولتنا
يدٌ رفّت على كتفي
كأنّ بها حنان الربْ.
ملاذٌ يجمع الأضلاع جمعاً
في عقاب الأبْ..
وأحلامٌ هيَ الإكمال لي، لحكاية الجدّةْ.
نخيلٌ للنسائم يرتقي.
درّاجةٌ خشبيّةٌ
فُقِدتْ وقد تركتْ على قدمي
حكايا ندبةٍ كبرتْ معي زهواً
فما تعني طفولتنا؟؟
طفولتنا كتابٌ يرشد النجمةْ.
جيوبٌ تحتوي ألياف ذاكرتي
تقيمُ معانيَ الرحلةْ..
أقول بكامل الإدراكِ
يكفيني
على ظهر الرحيل
ضياء طفولتنا

إدقــاق *

يمشي بها،
يطوي شوارعها وينسى
من ثمّ يحزن كالفقير
إذا روى عطش الزروع وجوعَ نبتٍ
دونَ صيدٍ واحدٍ بين الشواديف...
بالنيل " حابي " يحتفي بالحق
حين تغربل الإيضاح فيه
بالنهار تعابث الفلاح
بالضحك المسلّمِ
بالظلام تطبب الأحزان
عند الفجر تصرخ بالذي
غوت المدينة قلبه
من ثم تلعن ذا القطار
تعيش بين الريف
في وجه الجميلات الحيارى..
"إدقاق" معراج الحزين
ليبتسمْ
أرض الكلام
إذا تلغّم قلبنا بالصمت
إن تخشى سرائرنا الندمْ

* من أغاني السحجة الصعيدية في جنوب مصر.

في الشرق
تطفو فتنة الوقت الحديث
بيوتُ أسمنتٍ كسوسٍ
بينها وجه الجمال مشيداً من طين..

في الغرب
مهدٌ من لحودٍ للفراعين القدامى
لم يُمطْ شريانها ما بينها من مفرداتٍ

في الجنوب الطيبون يلوحون
بقلبهم نحو الرضا
وأنا هناك أضيء نفسي
من زيوت جمالهم

وإلى الشمال
نطل للديوان والخفراء والأيدي الكسولة
عمدةٌ، بلهاءُ ظنّوا ذي الحياة توجساً

الأرض طين الطيبين،
تصحّر الجدب اللعين عظام باغٍ.
فالملامح في تجمّلها توهُجنا
فَحَولَ مجامر الأيام
أوقدنا ضلوع الحزن

حتى ندفئ الفرح الذي بالضجر ارتعدْ.

مثل أيّ ريفيٍّ بسيطٍ

قال جدي:

أنت أقرب للجمال ولو بَعُدْ

ثابرْ بقلبك

وانتصرْ للعمر صدقاً

فالإله يجبر، لا ينسى،

يقيم ولو هدمْ

يعطي ويُكرم

ولو بدى العطاء هو العدمْ..

"إدقاق"

لم يعلم شقيٌّ

أنّ ربي قد أحبكِ

حين لاذَ إلى الفرار

ونادت أعظمه أحضانك الولهى

إذا مات الشقاء به

يعود مكفّناً بالوحدة البلهاء والتأنيب

مركز كوننا لا زلت،

يا أصحاب

أحكي عن بطولة أرضنَا

عن ذلك الجين الذي يجوب وجوهنا

مقهى من الطوب العتيقْ

وعن رفاهية النراجيل التي

صنعت من البوص المفرغ
عن مساجدَ عُمّرتْ بالذكر
عن فتيات شارعنا الصغيرْ
وعن جمالٍ عاد
من بين الأساطير القديمة
إنها " إدقاق"
حين تكوّرتْ شمس الحياة
تجلّت الأسرار فيها
ثم جئنا نوقظ الحلم الدفين..
نحن الدراويش العطاشى
قد ورثنا طينها،
ألغازها
والعطر في أنحائها..
وهي الجميلة تسكب الآمال
من فوق الحنينْ..

للجـد

"سلامٌ عليك "

ثلاث قصائد لك لا يكفين

يـوم ولـدتَ

هاجرْ
وذكّرْ بالكتاب فؤادي
فتل الرياح ومدّ في الأوتادِ
أرسى
على كل الصحاري فأسهُ
جعل الجمال شطيرة العبادِ
فله الأحاجي،
ردهةُ التكوينِ،
موالٌ من الأشواطِ بين بلادي
في البدء
كان الضوء وجها شاحباً
جذب الفتى في موقف الميلادِ
رغم الظلام
تسرّبت بعض الرؤى
تعبٌ، شقاءٌ،
ميتة الأولادِ
رضع الليالي،
أتقن النجوى،
حَبا سرّا،
مشى في باحة الإنشاد

لم يثقل الصفصاف حزنًا،
كان مبتسماً
بوجه الربّ كالزهادِ
أقدامه
لم تنس أنّ شذا الصحاب
على أناشيد الدليل الحادي
فهو ابن فجر دائمٍ،
والفجر يشبه
وجهه في شرفةِ الإفرادِ
الطفل يشدو القطن ترتيلا،
مع التهليلِ يقطف نسجه بسدادِ
يجلو
مياهَ الترعة الولهى صفاءُ الدمعِ
فوق جبينه الوقادِ

يُفني فضاء الليل بين حكايةٍ
يضفي لفردٍ أعظم الأندادِ
هل كل هذا الدهر ورداً ناصعاً؟
لا
بل هو الأموات دون نفادِ
الطفل يعرف منهج العرق العليّ
له بقلب الطميّ ألف ودادِ

* قرية في صعيد مصر، كانت المدخل الشرقي بإقليم البهنسا زمن الفتح العربي. ولا زالت قائمة.

إن غاب طلّ

وإن أطلّ أقام معنى

لا تشوبه لعنة الأضدادِ

هو ما أسرّ الليل للنجمات،

فهْو ندى الأماني

فوق كل سُهاد

هو آخر الأخيار بل أيضاً وأولهم

هو الإقدام دون حيادِ

أملَى على الأشياء

منطقَ كونها

فهو الفؤاد وقلب كلّ فؤادِ.

يوم تعيشُ

عِ الحبّ
واذكر في النشيد عمادي
جَدَل الجمالَ وشبّ في الأمجادِ
بالخيرِ
صار فتىً كليماً واضحاً
مثل البشائر بين كلّ كسادِ
صقلتْ
كفوفُ الشمسِ أركان الصغيرِ،
حوى الجنوبُ مناجل الحصّادِ
شدّ المواسمَ عاملاً،
أو باذراً
أو جامعاً خير القرى برشادِ
جذب السحاب
على فتائل كُمّهِ
كي يمطر الأسرارَ فوق الوادي
فله من التفصيل كل إشارةٍ
من مبدأ الأجداد للأحفادِ
وله النُهى،
سِيَرُ القدامى، مجدها
مع سُكْرِ عقلِ الشايِ في البرادِ
وله الحبيبات العذارى

ينتظرن العشق في إشراقةٍ وسوادِ
مد السلام لطائرين،
سقى الجوارح فيهما حِكَماً
كصمت الشادي
"صدقي"، " عليّ " تقارباً في الضوء
كي ما الشمس تزهر سمرة الأجسادِ
يا صبح يا خصم الليالي
يا مساء أيا رفيق الحزن في الأكبادِ
كونا سلاماً،
إخوتي
لن يلمسا الشر البليد بنيّة الإفسادِ
للشاب
أطيب تمرتين وخبزةٌ
والصبر من "شيلي" إلى "بغدادِ
للشيخِ
ما ترك الثرى بالعطفِ
بنتاً ثمّ ذكرى " مصطفى" بحدادِ
لم يبتئس،
مسح السوادَ بكل ذكرى،
ودّع النيرانَ في الإخمادِ
جذب العصا كي يسند الروح الثقيلة
من شرود القلب في الأبعادِ
عادى المسيرُ السيرَ،

بات الوقت صلداً،

عالقاً عاش الزمان العادِي

هل هذه الأيام ناقصة؟

أيا ولدي جهادك منطق الإيجادِ

سر في عيون السرّ

سوف تجيئك الأحلام

فوق الأرض دون منادِ

هذا العجوز مقام كل النور فيّ

هو العماد وأصل كل عمادِ

يوم تظـل حيـاً

زد في الخلود
بكل ما في الضادِ
وادعُ المهيمنَ
فهْو خير الزادِ
لم نأت للدنيا لنكنز ثمرنا
بل نحن تحت النبت
محض سمادِ
للروح ما تبغي
وللجسد القديم بلاؤه
في أعتق الألحادِ
كانت وصايا الصدق
نبع رحيلهِ
كانت جروح البعد دون ضمادِ

يا بنت أين " عليّ "
هل حقاً حفظتِ نصيبهُ
في الحب والإسعادِ؟
هل نام من برد الليالي؟
هل صغارك في سلامٍ
من بلى الأحقادِ؟
يبكي ويضحك،

ثم يصرخ سائلاً
من يرجع الآلام في الأغمادِ؟
من يسلب النيران
حرقتها؟ ومن يعطي أماناً
دون أي مزادِ؟
للعيد حزن العيدِ
يأتي غاضباً
كي يخطف الأفراح في الأصفادِ

في الليل دُقُتْ نقرتان،
" عليّ " قُم!
إن السماء نوت على الإبعادِ
جسدي زجاجٌ قد تكسّر،
خطوتي ذابت،
صوابي شذّ عن إيجادي
كل المسالك ظلمة،
والنور يعبث بي
فهل لي منك أي رشادِ؟!
هل لي وداعٌ
يخمد الذكرى قليلاً،
يفرغ النيران بين مدادي؟!
يندس فيّ،
فيأكل الآلام،

يوقف في الحزين
مطارق الحدادِ؟
وجعي عليك،
فهذه الأيام شحّت
بالهوى، بالقرب، بالميعادِ
من
يسمع الأطفال موالاً؟
ويرفض قبضة البلوى بكلّ عنادِ؟
من
سوف يصطحب العصا
كي ما تسير بخطوه
في أظلم الآمادِ؟
ودّع سكوتك يا فتى
لا الحزن عيبٌ،
أو عُوَارٌ
فوق رأس عبادِ

هذا العجوز ابن الخلود وماؤهُ
تحكي صداه حكمة الأمجادِ
هو
ما يقولُ الدهر في أخباره
فهو الفؤاد
وبدء كل فؤادِ